باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن انهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستخار على الطولة

تصدير ادوات الاستفهام

حضرة مدير المقتطف المحترم

بعد اهداء السلام من صميم الفؤاد وإبداء الشكر لما تبذلهُ مجلتكم من خدمة الناطقين بالضاد ارجو نشر ما يأتي :

رأيت لحضرة اسعد خليل داغر في المقتطف (ابريل سنة ١٩٢٤م) مقالة يستلفت فيها انظار المتكلمين بالعربية في مصر الى تصدير الكلام بادوات الاستفهام . ثم رأى ان يعذرهم فذكر لتأخيرها عدة شواهد وقال انها من الفصيح — واقترح على ابناء العلم ان يبثوا ما لديهم — فرأيت على بعد المزار — وشسوع الدار اتمام البحث فطفقت اسطراً وهي

لم ارَ خلافاً فيما عثرت عليهِ من دواوين النحو ودفاتره في وجوب تصدير ادوات الاستفهام — وقد علّلهُ ابن يعيش « بانها حروف دخلت على جملة خبرية لتنقلها الى الاستخبار (الانشاء) فوجب ان تتقدمها لتفيد ذلك المعنى » اه ملخصاً . وسواء في هذا حروف الاستفهام واسماؤهُ . ولم اعثر مع طول التنقيب والفحص على شاهد يخالفهُ من فصيح الكلام

اما بيت المعاياة المنحول فليس مما يُعوَّل عليهِ على ما اعترف حضرتهُ — وزد عليهِ قول الآخر في بيتيهِ « اراهُ من ؟ » فان اثر الصنعة بادٍ على عليهِ « يلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد »

واما قول الزبيدي فليس بحجة وحسبك ان ياقوت نقل في معجمهِ في ترجمة

ثعلب وابي خليفة الجمحي وهما انهما لم يكونا يتجشمان الإعرابَ وكانا يجريان في مخاطباتهم مع العوامّ في قرن ـ

واما ماذا فإن لها احكاماً خاصة بها لا يشاركها فيها سائر اسماء الاستفهام وحروفهُ على ما نَصّ عليهِ الرضيّ والزمخشري وابن هشام وابن مالك الى غيرهم — فاذاً لا يقاس عليها غيرها — ووجدت في كلام سيبويه ما يدلّ على ورودها غير مصدرة عندهُ خلافاً لسائر النحاة ممن تأخّرهُ فانهُ جعل « ما » في قولهِ

دعي ماذا علمتُ سأتّقيهِ ولكن بالمغيّب نبّئيني

استفهامية ثم قال « فالذي لا يجوز في هذا الموضع » وما اكثر من جعلها في البيت موصولية تفادياً من خَرْق الاجماع على أعواز شواهدها في الفصيح . واما لغة الاسلاميين فانها ملأى بشواهدها على عادتهم في التوسع ونبذ القواعد النحوية وراءهم ظهريّا — ورأيت لابن مالك في شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح المطبوع بالهند كلاماً وَسَطاً أحببتُ نقلهُ بُرمّتهِ ظنّا أن الكتاب لم يصل الى جُلّ ابناء مصر وهاكهُ

قال في قول عائشة (رض) اقول ماذا « فيهِ شاهد على ان ما الاستفهامية اذا رُكّبت مع ذا تفارق وجوب التصدير — فيعمل فيها ما قبلها رفعاً ونصباً . فالرفع كقولهم كان ماذا . والنصب كقول ام المؤمنين (رض) اقول ماذا . واجاز بعض العلماء وقوعها تمييزاً كقولك لمن قال عندي عشرون — ماذا » اه بلفظهِ — وكذا قولها (رض) الذي نقلهُ الفاضل «ثم صنعوا ماذا» على ان ابن مالك وامثالهُ وهم قليلون قد خالفهم ابو حيان وابن الصائغ وغيرهما في جواز الاستشهاد بالحديث قالوا لان الحفاظ كلهم امّا عجم او مستعجمون والذي زاد ضِعْفنا على إبّالة انهم يروون الرواية بالمعنى . وتوسّط الشاطبي بين الفريقين في جواز الاستشهاد بالاحاديث الصحيحة المضبوطة

وراجع للتفصيل الخزانة ١ × ٤ و ٢ × ٤ ٥٥ — والمغني ٢ × ٩ — وشرح ابن يعيش ٤٩٢ و ١٢٠٤ — وشواهد التوضيح ١٣٥ . والحفاجي على الدرّة ٦٨ وغيرها

عبد العزيز الميمني الراجكوتي السلفي خادم العلم
بالكلية الشرقية في لاهور (الهند)

تغير الاخلاق

سيدي الفاضلين صاحبي مجلة المقتطف الاغر

من الشائع بين جمهور الكتاب مما قرأناهُ ولم نزل نقرأهُ لأشهرهم ان الاخلاق تكيف وتنمو حسب التعليم والبيئة التي يعيش فيها الانسان . او بعبارة افصح ان للتعليم والبيئة اشد تأثير في اخلاق الانسان ويمكن بهما اصلاح الفاسد منها اذا توافرت الشروط اللازمة لذلك اصلاحاً ثابتاً — لا طلاء في الظاهر فقط — ورأيي غير ذلك فانا اعتقد من مجرد ما شاهدتهُ في الهيئة الاجتماعية بعد الاختبارات الطويلة ان الانسان يولد ويولد معهُ اخلاقهُ فليس للعلم ولا لغيره تأثير ما فيها فقد عاشرت كثيرين في الكتاب ذوي العلوم العالية ممن لا انكر عليهم معرفتهم وخبرتهم الواسعة ولكن اخلاقهم السيئة كانت تظهر في جميع مظاهرهم وطالما حالت بينهم وبين امانيهم فهم يعرفون الداء ولا يستطيعون معالجتهُ او بالاحرى لا يجدون لهُ علاجاً نافعاً وهذا ما يثبت رأيي بان الاخلاق لا يؤثر فيها العلم ولا غيرهُ شيئاً. وقد شاهدت بعض الاميين ممن لم يتسنَّ لهم دخول المدارس كغيرهم بل ولدوا وكبروا في محيط بسيط وكانت اخلاقهم حسنة وقلَّما كان يظهر عليهم شيء من سوء الخلق فالعلم افاد افادة كبرى من جهة الصناعة والاختراع والطب الجراحي وكل وسائل العمران امَّا من جهة الاخلاق فلا اعتقد ان للعلم أقل تأثير عليها فدَو الاخلاق السيئة لا يمكنهُ تغييرها مهما حاول ذلك وقد احببت ان اسألكم رأيكم في هذا البحث الاجتماعي والموضوع واسع يحتاج الى الخبرة التامة ولا اعتقد ان غيركم اجدر منكم بالحكم فيهِ لذلك ارجو ابداء رأيكم وتفضلوا بقبول فائق احترامي

[المقتطف] هذا موضوع واسع جدًّا لا يستوفى في اقل من مجلد من مجلدات المقتطف فقد كتب الفيلسوف هربرت سبنسر مجلدين كبيرين في الاخلاق ونشوئها وتنوعها . ويقال بالاختصار انهُ لا شبهة في وراثة الاخلاق والصفات المختلفة ولاسيما اذا كانت قديمة راسخة في النسل ولكن ظهور هذه الاخلاق والصفات يستلزم ان يكون الوسط الذي تظهر فيهِ مساعداً لظهورها غير مقاوم لهُ فاذا كان الخلق مثلاً ميالاً الى الشر ولم يجد الولد احداً يكبر امامهُ ولا وجد مكرماً فيبعد ان يظهر فيهِ هذا الميل او ان يقوى اذا ظهر واذا كان الخلق ميالاً الى الكذب ووجد بين قوم كلهم صادقون ينهون عن الكذب ويعاقبون الكذاب ويحتقرونهُ او يساعدونهُ

على الابتعاد عن هذه الخلة بكل ما يمكن من الوسائل تعذر عليها الظهور فيهِ والتمكن منهُ كما لو وجد بين اقوام يكذبون ولا يحتقرون الكذاب بل يقولون الكذب ملح الرجال والعيب على الصادق او كما قال شاعرنا

والصدق ان القاك تحت العطب لا خير فيهِ فاعتصم بالكذب

بمثل هذا كان يوصيني ابي

والسبب العلمي لذلك ان الاخلاق الصالحة والطالحة معلولة ولها علل كونتها وهي تتوارث وتظهر بالاستمرار فاذا لقيت مثل العلل التي كونتها جرت مجراها الطبيعي واذا لقيت عللاً تقاومها كل المقاومة ضعفت او تغيرت حسب تأثير تلك العلل فيها وحسب كونها هي قوية او ضعيفة فان الخلق الواحد الذي يرثهُ الانسان اذا كان موجوداً في والديهِ معاً واكثر اسلافهما كان تغييرهُ بالتربية صعباً جداً وقد يكون محالاً . واذا كان موجوداً في احد والديهِ او في بعض أسلافهما فقط كان تغييرهُ سهلاً فهو مثل كل الصفات المكتسبة في الحيوان والنبات . ولذلك علينا ان لا نهمل وسيلة من الوسائل التي اصلحت اخلاق الامم ورقتها

مسخ بشري

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف

بعد تقديم وافر الاحترام . ابدي انهُ نهار تاريخهِ شاهدنا حادثاً يستلفت الانظار . وذلك ان امرأة وطنية ساكنة بهذه البلدة (موندونوفو) من اعمال البرازيل ولدت مولوداً وهو على هذه الشاكلة :من عند مرتفع صدرهِ ونازلاً كناية عن جسم ضفدع بجميع اوصافهِ . وبقية جسمهِ اي من عند مبتدا رقبته وما فوق هو عبارة عن رقبة ووجه سمدان يكللهما الشعر واذناه طويلتان متصلتان بكتفيهِ . فعليهِ اتيت مقدماً هذا الخبر لحضرتكم لعلكم تجدون منفعة ما بنشرهِ على الجمهور بمجلتكم الغراء . وراجياً من كرمكم اذا كان بالامكان تعليل هذا الامر لنا وسلفاً اقدم لكم مزيد شكري البرازيل جورج ملحم خوري

[المقتطف] يكون جنين الانسان في الاسابيع الاولى من تكونهِ مثل اجنة غيرهِ من الحيوانات فاذا عرض لبعض اعضائهِ ما يوقف نموها في الشكل الانساني فقد تنمو في شكل حيواني . وقد شاهدنا نحن مسوخاً ولدوا وفيهم شيء من هذا التشوه ومن ذلك ولد عاش وشبَّ ورأسهُ مثل رأس الفرد ولاسيما في شكل جبهتهِ

وعينيه وحجاجهما وكان ابله ولكنهُ تعلم لغة اهله وكان ينطق بها نطقاً غير واضح. وليس لهذه الحوادث تعليل طبيعي اوفى من ان انواع الحيوان والانسان منها متسلسل بعضها من بعض كما يتضح من اجنتها وان اجنة كل نوع منها تتبع في نموها خطة مخصوصة اكتسبها ذلك النوع مدة الوف وملايين من السنين ولكن قد يعرض لهُ في نادر الاحوال ما يوقف نموهُ او يحولهُ من جهة الى اخرى

الاسد وعرفان الجميل

اخبرني صديق صادقٌ الرواية الآتية قال :

عند ما كنا في الخرطوم زمن الحرب العالمية الكبرى كان يتردد علينا من يوم الى آخر قسيس الماني يدعى « هوبر » وقصّ علينا ما يأتي :

كنت مارًّا في غابة كثيفة واذ سمعتُ زئير أسد في منتصف الغابة خُفتُ اولاً ثم ترجلت واقتربت واذ امامي اسد ملقى على ظهرهِ تارة وعلى خاصرتيهِ طوراً تفرستُ فيهِ مليًّا فوجدتهُ ينظر الى اخمص قدمهِ وفيهِ شوكة غارزة فيهِ. نظرت اليهِ ونظر اليَّ فاكدت ان لا خطر منهُ عليَّ فاستخرجت الشوكة وغسلت جراحهُ وتركتهُ وشأنهُ

بعد تسعة اشهر من هذه الحادثة اتفق ان مررتُ ثانية في ذلك الطريق فرأيت الاسد بعينهِ . وللحال اقترب مني اقتراب مَن يقدر للجميل قدراً وكأن لسان حالهِ يقول لا يضيع الجميل حتى مع الحيوانات العُجم . أنستُ منهُ وازداد تقرباً مني وبدأ يلحس يدي ويزيد بتقربهِ مني الى ان ركبت على ظهرهِ مسافة نحو ثلاثة كيلو مترات ثم نزلت عنهُ وتركتهُ وشأنهُ . ثم قال ومن خصائص الاسود ان الأسد اذا نظر في طريقهِ امرأةً مكشوفة الصدر يستحيل ان يقترب اليها باذى بل يسير الى جانبها كأن لا شيء هناك . فما قولكم بهذه الرواية وحبذا لو تفضل احد مشتركي المقتطف في الخرطوم وسعى وفتّش عن القس هوبر وباحثهُ في هذا الموضوع ونشر ما يسمعهُ منهُ في المقتطف تزكية لمن اخبرنا بقصتهِ وعلى كلٍّ نريد ان تبدوا رأيكم في هذا الموضوع

الدكتور حبيب مالك

[المقتطف] يستخلص مما كتبهُ الذين اصطادوا الاسود في هذا العصر وكتبوا في طبائعها ان الاسد ليس مجبولاً بالطبع فاذا لقي الانسان ولم يتعرض لهُ الانسان بسوء ولا فاجأهُ مفاجأة لم يبادئهُ بشرٍّ بل يجتنبهُ ويبقى سائراً في طريقهِ. ولكنهُ اذا بودىء بشرٍّ او فوجىء مفاجأة او جاع او اعتاد افتراس الانسان او كان

لبؤة خافت على اشبالها من الانسان فهناك الخوف والخطر . والقصة التي ذكرها القس هوبر ترون قصة شبيهة بها عن احد القدماء وقد طرح في مشهد رومية لتفترسهُ الاسود فوقع الى اسد كان قد نزع شوكة من يدهِ فعرفهُ الاسد وانس بهِ ولم يفترسهُ . ولكن لا اسهل من وضع قصة مثل هذه. ووضع القصة التي رويت عن لسان القس هوبر سهل ان صحت الرواية لاسيما وان فيها ركوباً على اسد لغير موجب. وعلى كل حال لم نجد فيما قرأناهُ عن الاسود ما يماثل هذه القصة او ما يدانيها

شواذ الخلق

اصحاب المذهب المادي لا يقنعون الاّ بالحس ولا يؤمنون الاّ بما هو مشاهد محسوس من اجل ذلك تراهم يستصعبون وقوع بعض الحوادث الخارقة للعادة ويرون محالاً كل ما هو خارج عن نطاق القانون الطبيعي . وليس في شيء من ذلك المؤمن الذي يعترف بالمعجزات ويؤمن بالبعث والغيبيات

وما حداني للكتابة في هذا الموضوع الاّ ما قرأتهُ في مقتطف يونيو وقد سألهُ سائل يطلب اليهِ تعليل حادثة مولود ولد بالصين وتكلم في المهد — او بعد بضعة ايام من ولادتهِ — اما المقتطف الاغر فكان في رأيهِ مستبعداً كل البعد وقوع مثل هذا — ولماذا ؟ لان هذا خارج عن قانون الطبيعة ونحن مع تقديرنا واجلالنا لرأي المقتطف الاغر نرى ان حادثاً كهذا يجب ان يدرس دراسة خاصة فيحكم عليهِ بعد تمحيص وتدقيق ولا يكون مقنعاً ذلك الجواب الذي يتضمن كل الاستحالة لانهُ لا يتفق مع الناموس الطبيعي . ذلك لاننا نعلم ان حوادث كثيرة مثل هذا الحادث وقعت في عصور متباينة واجواء متغايرة وهاك بعض هذه الحوادث

هيرموجين : علم البيان والمعاني وهو في الخامسة عشرة من سني حياتهِ —

انريكوس إينكيم : ولد في المانيا من بلدة لوبيك سنة ١٧٩١ وبدأ يتكلم بفصاحة مدهشة في الشهر العاشر من عمرهِ وبعد شهرين تعلم اسفار موسى الخمسة وفي الشهر الرابع عشر تعلم العهدين القديم والجديد وفي الثانية من عمرهِ اتقن تاريخ الاقدمين وقيل انهُ كان في المهد يعادل شيشرون بفصاحتهِ اللاتينية ويظهر الناس على اغاليط في مؤلفات اشهر ادباء الفرنسويين

يوحنا فيليبس باراتيه — كان في الحول الرابع من عمرهِ يتكلم ويكتب الفرنسية والالمانية واللاتينية وفي السنة السادسة اتقن اليونانية وفي السابعة العبرية فترجم

التوراة الربانية الكبيرة من اربعة مجلدات ضخمة اضاف اليها مجلداً آخر من الحواشي

موزار — الموسيقي الطائر الصيت الذي ضرب على الارغن من الرابعة فادهش العالم

تريزيا ميلانوتلو — هذه الفتاة ادهشت عواصم أوربا بضربها بالكنجه في مهد حياتها حتى قال عنها الموسيقي (بايسو) يظهر انها ضربت بالكنجه قبل ان تولد

ولقد روت الجرائد الفرنسية والانكليزية سنة ١٨٦٨ عن فتاة انكليزية بقيت حتى الثالثة عشرة من عمرها ولم تتعلم الا كلتين ابتاهُ واماهُ ولكنها بعد ذلك العهد اخذت تتكلم فجاءة وبسهولة لا مثيل لها — اخذت تتكلم بلغة مجهولة لا علاقة لها بالانكليزية وليت جاهلة بتاتاً اللغة العائلية حتى اضطر اخوها الى تعلم لغتها لمخاطبتها

هذا قليل من كثير وبعض من كل ولو شئنا ان نسرد امثال هذه الحوادث لملأنا صحائف المقتطف ولا نبغي من وراء ذلك الا تزكية الايمان بما هو فوق الطبيعة وتعزيز الاعتقاد بالمعجزات

نحن الذين نؤمن بان السيد المسيح ما خرج من بطن امه الى هذا العالم بل ناداها من تحتها (ان لا تحزني) . نحن الذين نؤمن هذا الايمان ونعتقد بالمعجزات وهي خرق للطبيعة لا نرى متدوحة حيال ما يقع عليه نظرنا من مثل اراء المادين من الادلاء بالآراء وضرب الامثال لقوم يفقهون حسن حسين

[المقتطف] اذا قال لنا حمّار انهُ رأى حماراً طائراً في السماء لم نصدقهُ ولو زكّى قولهُ مائة شاهد من امثاله لا لان طيران الحيوانات امر مستحيل لذاته فان الطيور تطير والذباب يطير وبعض الاسماك تطير وبعض الحيوانات اللبونة يطير بل لان لهذه الحيوانات اجنحة تطير بها وليس للحمار جناحان مثلها فطيرانهُ على هذه الصورة مناقض للنواميس الطبيعية . وكذب هذا الحمّار والرجال الذين استشهد بهم غير مناقض لناموس من النواميس ولا هو مناقض لاختبار البشر بل هو امر عادي يحدث كل يوم ولذلك نصدق ما حدوثهُ كثير الاحتمال ولا نصدق ما حدوثهُ بعيد الاحتمال جدًّا اذا تناقضا . ولكن اذا شهد طيران الحمار اناس من اهل العلم والفضل الذين لا يحتمل ان يكونوا خادعين او مخدوعين وجب علينا ان نبحث معهم عن السبب الطبيعي الذي طار الحمار بموجبهِ فقد نجد ان اعصاراً حملهُ وطار بهِ والاعصار يحمل ماء البحر ويعلو بهِ ويحمل الاسماك والحجارة ويطير بها وينقلها من مكان الى آخر وحينئذٍ لا يكون الحمار قد طار بنفسهِ وناقض نواميس الطبيعة بل يكون قد حُمِل حملا بناموس طبيعي آخر

والطفل يتأخر الآن نطقهُ الى ما بعد سنة من عمرهِ لا لان النطق اصعب الاعمال التي يعملها جسمهُ بل لانهُ من احدثها. فان جسم الجنين والطفل تاريخ مختصر للادوار التي مرّ عليها نوع الانسان وفيهِ اعمال اخرى لا تقل عن النطق صعوبةً وتزيد عليهِ اهمية وهي تظهر فيهِ كلها حال ولادتهِ فيلتقم الثدي ويمتص اللبن منهُ لتغذية جسمهِ واعضائهِ وحفظ حياتهِ وتتحرك رئتاهُ فيتنفس الهواء ويوصلهُ الى كريات دمهِ التي يكون قلبهُ قد دفعها الى رئتيهِ فتتناول اكسجينهُ وتتحد بهِ اتحاداً كيماوياً ثم تعود الى القلب فيدفعها في الشرايين الى كل جزء من اجزاء الجسم وخلية من خلاياهُ . وكل حركات الرئتين والكبد والطحال والكليتين والمعدة والامعاء والدماغ والاعصاب كل ذلك لا يقل عن النطق تركيباً واهمية وهو يشرع في عملهِ حال خروج الطفل من بطن امهِ ويستمرُّ سنة بعد سنة ويوماً بعد آخر ودقيقة بعد اخرى كل سني الحياة ولا يتأخر ظهور النطق عن ظهور هذه الاعمال الاّ لانهُ جاء بعدها في تاريخ الانسان فاذا زعم زاعم ان هذا النظام الطبيعي البديع تغيَّر وظهر النطق بعد ثلاثة ايام من الولادة فتكلم الطفل بلغة فصحى حق لنا ان نرتاب في صدقهِ كل الريب وان نقول ما قلناهُ في الجزء الماضي وهو « ان كل ما يعلم من تاريخ الانسان وبناء اعضاء النطق في فمهِ ودماغهِ وكل ما اتصل الى معرفتهِ الباحثون في اصل الانسان وتولد ملكة النطق فيهِ وكونها من احدث ملكاتهِ كل ذلك يناقض صحة هذا الخبر وعليهِ فكذب هذه الدعوى اقرب جداً الى المعقول من صحتها »

ما قولكم لو كنتم في منصة القضاء وامامكم قضية رجل وُجد مقتولاً ولم يعلم قاتلهُ واتى المحكمة عشرة شهود وشهدوا انهم رأوا طفلاً ولد منذ اربعة ايام وسمعوهُ يقول ان القاتل هو احمد محمد السمان من باب الشعرية مثلاً ثم توفي هذا الطفل اكنتم تحكمون على احمد محمد هذا بالقتل بناء على شهادة هؤلاء الشهود . ولماذا لا تصدقونهم وانتم تصدقون الخوارق ولا يستحيل على الله ان ينطق الطفل في المهد اقامةً للعدل

اما الامثلة التي ذكرتموها فاذا صحت ولم يكن فيها شيء من المبالغة فكل ما فيها هو ظهور قوة من قوى الولد قبل الميعاد الذي تظهر فيهِ عادة ولكن بعد ان يتكامل بناء جسمهِ اللازم لظهورها وهذا يحدث في النطق غالباً فينطق بعض الاطفال ببعض الالفاظ في السنة الاولى ولا ينطق غيرهم بلفظة قبل السنة الثانية او الثالثة . ومع ذلك فنحن لم ننفِ صحة الدعوى الصينية نفياً باتاً ولا حسبناها من الامور التي يستحيل وقوعها بل قلنا ان « كذبَ هذه الدعوى اقرب جداً الى المعقول من صحتها »